وجمع لبشير بين القضاء والقصص وبيت المال . وكان رزقه فى كل سنة ألفَ دينار . وذلك أنه كان له على القضاء مائتا دينار ، وعلى القصص مثلها ، وعلى بيت المال مثلها ، وفى العطاء ، مثلها ، وفى الجوائز مثلها ، فلا يحول الحول وعنده منها شىء [١] . وكان يقتدى به لورعه . وكانوا يهدون له فى الأعياد وفى المواسم ، فلا يقبل لأحد شيئا . وكان شديد التواضع .

٤٦ – بَكَّار بن قُتَيْبَة بن عُبَيْد الله بن أبى بَرْذَعة بن عُبيد الله بن بشير بن عبيد الله بن أبى بكرة ، أبو بكرة ، الثقفى ثم البكراوى . كذا نسبة ابنُ عساكر ، وساق نسبه من عند أبى عمر الكندى ، فأسقط عبيد الله بين قتيبة ، وأبى برذعة ، وعبيد الله بين أبى برذعة ، وبشير بن عبيد الله ، وكذا فى تاريخ أبى جعفر الطحاوى . وأما ابن يونس فأسقط عبيد الله الأول وأثبت الثانى وهو المعتمد .

وفى سير النبلاء للذهبى : بكار بن قتيبة بن أسد بن عبيد الله ، ولد سنة اثنتين وثمانين ومائة ، وهو حنفى . أخذ الشروط والفقه عن هلال بن يحيى الرأى ، وعن عيسى بن أبان ، وطلب الحديث فأكثر عن أبى داود الطيالسى ، ويزيد بن هارون ، وصفوان بن عيسى ، وعبد الصمد بن عبد الوارث ، ومؤمل بن إسماعيل وغيرهم من مشايخ البصرة ، كأبى أحمد الزبيرى ، وعبد الله بن بكر ، وعفان ، وحسين بن حفص الأصبهانى ، وإبراهيم بن أبى الوزير ، وحبان بن هلال ، وأبى عاصم ، وعثمان بن الهيثم ، وسعيد بن عامر [الضَّبْعى] [٢] ، ويحيى بن حماد ، ومكى بن إبراهيم ، وعبد الله بن رجاء ، وروح بن عبادة ، وأبى الوليد الطيالسى ، وأبى عامر العَقَدى ، ويعقوب بن إسحاق ، ويحيى بن يونس ، وحسين بن مهدى ، وقريش بن أنس فى آخرين .

---

(١) هذا الخبر خاص بعبد الرحمن بن حجيرة كما أورده الكندى فى ترجمته ص ٣١٧ وإيراده هنا لبشير – فى الأصل ش ، والتلخيص – سهو .

٤٦ – أخباره فى : فتوح مصر لابن عبد الحكم ٢٧٦ ، والولاة والقضاة ٤٧٦ ، والأنساب ٢/ ٤٧٤، واللباب ١٦٩/١ ، ووفيات الأعيان ٢٧٩/١ ، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٢٣٧/٥ ، وتاريخ الإسلام للذهبى وفيات سنة ٢٧٠ ، وسير أعلام النبلاء ٥٩٩/١٢ ، والعبر ٤٤/٢ ، والوافى بالوفيات ١٨٥/١٠ ، وتاريخ ابن كثير ١١/ ٤٨، والمقفى ٤٤٢/٢ ، وطبقات الأولياء ١١٩ ، والنجوم الزاهرة ٦٨/٣ ، والتلخيص ورقة ٢٦، وحسن المحاضرة ٤٦٣/١ ، وشذرات الذهب ١٥٨/٢ .

(٢) من سير أعلام النبلاء ٥٩٩/١٢ .

وذكر ابن عساكر فى الرواة عنه ، ولده بكر بن بكّار ، وفيه نظر ، لأنه سيأتى فى قضيته مع موسى بن عبد الرحمن أنه قال : مانكحت قط . روى عنه أبو داود السجستانى خارج السنن ، وابن خزيمة ، وأبو عوانة فى صحيحيهما ، ويحيى بن محمد بن صاعد ، وابن جَوْصَا ، وأحمد بن عبد الله الناقد . والحسن بن محمد ابن النعمان ، ومحمد بن محمد بن أبى حذيفة الدمشقى ، وأكثر عنه الطحاوى جدا ، وروى عنه أيضا أحمد بن سليمان بن حَذْلَم الدمشقى ، وأبو الميمون عبد الرحمن البجلى ، ومحمد بن العباس بن زِيَوْك وصاعد بن عبد الرحمن البَجَلى ، والحسن بن حبيب الحَصَائِرِىّ ، وعلى بن الحسين بن محمد بن النضر ، وأحمد ابن محمد بن بشر وأحمد بن محمد بن فضالة ، وأبو الحسين محمد بن على بن أبى الحديد ، وجعفر بن محمد بن موسى ، وإبراهيم بن إسحاق الصَّرَفَنْدِىّ ، وأبو الطاهر أحمد بن محمد بن عمرو المدينى ، وأبو العباس محمد بن يعقوب الأصم . وهذان خاتمة أصحابه .

وكان له اتساع فى الفقه والحديث . قال أبو بكر ابن المقرىء فى فوائده : سمعت محمد بن بكر الشَّعْرَانِىّ [بالقدس] يقول : سمعت أحمد بن سهل الهروى يقول : كنت ألازم غريما لى إلى بعد العشاء الآخرة ، أو نحو هذا . قال : وكنت ساكنا فى جوار بكار بن قتيبة ، فانصرفت [بعد العشاء] إلى منزلى فإذا هو يقرأ ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الآية . فوقفت أتسمَّع عليه طويلا ، ثم انصرفت فقمت فى السَّحَر على أن أصير إلى منزل الغريم ، فإذا هو يقرأ هذه الآية يرددها [ويبكى] فعلمت أنه كان يقرؤها من أول الليل [1] .

وفى فوائد المشرف بن على التَّمَّار من رواية أحمد بن سعيد ، سمعت سعيد ابن عثمانَ يقول : سمعت بكار بن قتيبة يقول :

لنفسىَ أبكى لستُ أبكى لغيرها لعَيْبِىَ فى نفسى عن الناس شاغل

وقال أبو عمر الكندى : قال محمد بن الربيع الجيزى : ولى من قبل المتوكل ، فدخلها يوم الجمعة لثمان ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ست وأربعين ومائتين . ويقال إنه لقى ، وهو قاصدٌ مصر ، محمد بن أبى الليث بالجفار وهو الرمل الذى بين غزَّة والعَريش راجعًا إلى العراق مصروفا ، فقال له بكار : أنا رجل

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/٦٠٠ وما بين الحاصرتين منه . والآية من سورة ص رقم ٢٦

غَريب وأنت رجل قد عرفت البلد ، فدلَّنى على من أُشاوره وأسكنُ إليه ، فقال له : عليك برجلين أحدهما عاقل ، وهو يونس بن عبد الأعلى ، فإننى سعيت فى سفك دمه ، وقدر عليَّ فحقَن دمى . والآخر موسى بن عبد الرحمن بن القاسم فإنه زاهد . قال : فصفهما لى ، فوصفهما له . فلما دخل بكار مصر ودخل الناس رأى شيخا بالوصف الذى وُصِفَ له به يونس بن عبد الأعلى فظن أنه هو فأكرمه . فبينما هو فى الحديث معه إذ قيل : جاء يونس بن عبد الأعلى فأعرض عن الرجل وتلَقَّى يونسَ فأكرمَه ، وأتاه موسى بن عبد الرحمن فأعظَمه واستشاره وأخذ برأيه . وحمل يونس بكارا على فسخ قضية الحارث بن مسكين فى دار الفيل ففعل .

واشتهى بكار أن يرى الحارث بن مسكين فعُرِّف بزمانته فركب إليه ، وسلم عليه فى داره بسوق وردان . فاتفق أن بكارا قال لموسى بن عبد الرحمن بعد ما تخصص به : يا أبا هارون من أين المعيشة ؟ قال : من وقف أبى ، قال : يكفيك ؟ قال قد تكَفَّيت به . وقد سأل القاضى ، فأسأل ؟ قال : سل . قال : هل ركب القاضى دينٌ بالبصرة لم يجد له وفاء حتى تولى القضاء ؟ قال : لا ، قال : فرزق ولدا أحوجه إلى ذلك ؟ قال : لا . قال فعيال ؟ قال ما نكحت قط . [وما عندى سوى غلامى] قال : فأجبره السلطان [على القضاء] وخوفه ؟ قال : لا ، قال : فضربت آباط الإبِل من البصرة إلى مصر ، لغير حاجة [إلا لتلى الدماء والفروج ؟] لله علىَّ أن دخلت عليك أبدا . فقال : أقِلنى [يا أبا هارون] ، قال : أنت ابتدأت [بمسألتى] ثم انصرف عنه فلم يعد إليه [1] .

وقد استبعد صاحبنا جمال الدين [البشبيشى] صحة هذه الحكاية من جهة أن ابن أبى الليث كان حينئذ محبوسا بالعراق ، لأن خروجه من مصر كان فى سنة إحدى وأربعين قبل مجيء بكار بخمس سنين .

وأجرى المتوكل على بكار فى الشهر مائة وثمانية وستين دينارا . فلم تزل تجرى عليه طول حياته .

قلت : وهى على حساب خمسة ونصف وثمن كل يوم ، فلعلها كانت ستة فحط الكُتَّاب منها نقص الأهلة .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦٠١/١٢ ومابين الحاصرتين منه .

وكان بكار عارفا بالفقه كثير البكاء والتلاوة . وكان إذا فرغ من الحكم خلا بنفسه وعرض من تقدم إليه وما حكم به على نفسه . وكان يكثر الوعظ للخصوم ولا سيما عند اليمين . وكان يحاسب أمناءَه فى كل وقت ، ويسأل عن الشهود .

وكان إبراهيم بن أبى أيوب يكتب للحارث بن مسكين ، فلما دخل بكار مصر حضر إليه وكان ذكر عنده بسوء ، فقال له : انصرف فلا حاجة لنا بك . فخرج فرآه أهل الخصومات الذين بباب بكار ، فثاروا عليه ومزقوا ثيابه وضربوه ، فقيل لبكار إن لم تُدْركه قُتِل ، فقام فنادى : كفوا فقد أشركناه فى الكتابة مع كاتبنا . فرجع الذين وثبوا عليه ، ينفضون ثيابه ويعتذرون إليه . ولولا هذه الحيلة من بكار كان إبراهيم قتل ، ثم لم يستعمله بكار .

ولما أمر المتوكل ببناء المقياس فى الجزيرة كتب إلى بكار أن يندب إلى المقياس أمينا ، فاختار لذلك أبا الرداد عبد الله بن عبد السلام المؤدب فاستمر ذلك فى ولده ، وذلك فى سنة سبع وأربعين ومائتين . وكان الذى يتولى أمر المقياس النصارى ، فأمره المتوكل ألا يوليه إلا مسلما يختاره . ذكر ذلك ابن زولاق .

وذكر أبو عمر الكندى أن كتاب المتوكل بذلك ، ورد على يزيد أمير مصر ، فأقام أبا الرداد المعلِّم، وأجرى عليه ابن وهب صاحب الخراج كل شهر ستة دنانير . وكانت وفاة أبى الرداد المذكور فى سنة ست وثمانين ومائتين .

ودخل أبو إبراهيم المُزَنِىُّ علَى بكار فى شهادة ، ولم يكن رآه قبلها لاشتغال المزنى بنفسه ، وإنما اضطر إلى أداء الشهادة . فلما أداها قال له : تَسَمَّ ، فقال : إسماعيل بن يحيى المُزنى ، قال : صاحبُ الشافعى ؟ قال : نعم . فاستدعى من شهد عنده أنه هو ، فقبل شهادته . قال الطحاوى : ما أدرى كم كان يجىء أحمد بن طولون إلى بكار وهو على الحديث ، فما يشعر به بكار إلا وهو جالس إلى جنبه ، فيقول : ماهذا أيها الأمير ؟ هلا تركتنى حتى أقضى حقك ! أحسن الله مجازاتك .

وقال أبو حاتم ابن أخى بكار : قدم على بكّارٍ رجلٌ ، من أهل البصرة ، ذكر أنه كان رفيقه فى المكتب ، فأكرمه جدا ، ثم احتاج إلى شهادة فشهد مع رجل مصرى عند بكار ، فتوقف عن الحكم ، فظن أهل مصر أنه لأجل المصرى ، فسئل فى خلوة عن ذلك ، فقال : المصرى على عدالته ولكن السبب البصرى ، وذكر منه أمراً رآه منه فى الصغر ، قال : لا تطيب نفسى إذا ذكرت ذلك أن أقبل

شهادته . وذكر أنه أكل معه أرزا فى سمن [وعسل] فنفد العسل الذى من ناحية بكار ، ففتح من جهة صاحبه حتى جرى العسل ، فقال له ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ (١) فقال له بكار : أتهزأ بالقرآن فى مثل هذا ! فبقيت فى نفسه عليه .

ومات رجل من المتقبلين وعليه مال للأمير وله أطفال ، فطلب عاملُ الخراج من أحمدَ [بن طولون] أن يأمر القاضىَ ببيع داره فيما عليه ، فأرسل ابن طولون إلى بكار فى ذلك ، فقال : حتى يثبت عليه الدين ، فأثبتوه وسألوه البيع ، فقال : حتى يثبت عندى أنه ملكه ، فأثبتوه ثم سألوه البيع ، فقال : حتى يحلف من له الدَّين ، فحلف ابن طولون ، فقال بكار : أما الآن فقد أمرت بالبيع .

ومات آخر وعليه مال ، وله دار حُبس ، فقال عامل الخراج لأحمد : إن بكارا يرى بيع الحبس . فسأله ففعل كما فعل فى المرة الأولى . فلما ثبت الدَّين ، وثبت وضع يده عليه ، وأنه حبُس ، قال ابن طولون لبكار : مُر ببيعه على مذهبك . فسكت ساعة ، فعاوَده ، فقال : أيها الأمير إنك قد بنيت المسجد الجامع ، والمارستان ، والسقاية والصهريج ، وحبست على ذلك ماشاء الله ، فلا تجعل لغيرك على أحباسك سبيلا . فسكت أحمد .

وكان بكار فى غاية العفاف والسلامة . واتفق أن دخل عليه بعض أمنائه وهو مخرّق الثياب . فقال : بعثتنى أحفظ تركة فلان فصنع بى جاره هذا ، فقال : أحضروه : فأحضره الأعوان ، فقال له بكار : أنت صنعتَ هذا بأمينى ؟ قال : نعم . فقال خذوه ، فأخذه الأعوان فسقط ميتا ، فدهش بكار . فقال له أمناء القاضى : هذا عَمِلَه اليوم ، مات مرتين ، فاستوى الرجل جالسا ، فقال كذبوا والله ما مِتُّ إلا الساعَة ورقد . فجعل بكار يرشُّ عليه المَاوَرد ويُشِمُّه الكافور ويَرْفُق به ، ويعِده إلى أن قام فصرفه . وأقبل على أعوانه ، فقال هددتموه وجررتموه فلو وافق أجله .

وكان ابن طولون إذا حضر جنازة لا يصلى عليها غيرهُ ، إلا أن يكون بكار حاضرا . ولما مات يحيى بن القاسم العلوى كانت جنازته حافلة ، فحضر ابن طولون وبكار ، بعد أن صلى الناس على الجنازة فقال ابن طولون : حطوا النعش ، وقال لبكار : تقدم فصل عليه . فقال له كم أُكبّر ؟ قال : خمسا ، فتقدم بكار فصلى عليه وكبر خمسا ، وأعاد أكثر الناس الصلاة عليه مع بكار .

---

(١) الآية ٧١ من سورة الكهف .

وقدم قوم من أصحاب الحديث ليسمعوا من بكار فقال : من أى البلاد أنتم ؟ قالوا : من الرملة . قال : ما حال قاضيكم ، قالوا : عفيف ، فقال بكار : إنا لله ، يقال قاض عفيف ! فسدت الدنيا .

وكان بكار عثمانيا ، فتظلّم إليه رجل فجعل ينادى : ذهب الإسلام ! فقال له بكار : ياهذا نُحر عثمان ، فما ذهب الإسلام ، يذهب بسببك ؟! . فلما وقع بينه وبين ابن طولون بكّته بها ابن طباطبا النقيب .

وقال الطحاوى : جاء رجل إلى أبى جعفر محمد بن العباس التل الفقيه فقال له : فى يدى دار لرجل غائب وإنى أريد إخراجها من يدى ، فقال له : صِرْ إلى القاضى فسلِّمها له . فمضى وعاد ، فقال : قلت له ، فقال : أخرجوه ، فقال له التل : صدق ، عُد إليه واذكر له موضعها وحدودها ففعل ، فقال : أخرجوه ، فقال له التل : صدق ، عُد إليه وسَمِّ له اسمَ صاحبها وأنه غائب ، فقال أخرجوه ، فقال التل : صدق ، عُد إليه واذكر له الموضع الذى هو غائب فيه ، فقال : أخرجوه . فقال التل : صدق : عُد إليه واذكر أنه لا ملك لك عليها ، ولا على شىء منها بسبب من الأسباب . فقال : أخرجوه فقال التل : صدق . عُد إليه وقل له وأنا عاجز عن حفظها ، فمضى ثم عاد فقال : عرفته ذلك . فقال : اكتبوا عليه بما ذكر كتابا وأعطوه نسخته ، واقبضوا الدار وأقيموا لها أمينا ، حتى يحضر صاحبها ، فقال له التل : ابتليتَ بقاضٍ فقيه .

قلت : والتل هذا يسمى محمد بن العباس بصرى سكن مصر ، ومات فى ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين ومائتين .

وقال بكار يوما فى مجلسه : ما حللتُ سراويلى على حلال قط ، فقال له رجل ولا حرام ؟ فقال : والحرام يذكر ! وقال أبو مسعود الأسد : كنت أتردد أنا وأخى إلى بكار بسبب أحباسنا ، فجئت يوما فصعدت إلى الدرجة ، فسمعته يخاطب وكيلاً له ويقول له بعْتك لتزوج امرأة فتزوجتَها أنت ! وهو يعتذر ، وبكار يوبخه ، فلما قضى كلامه نزل ، فعرفته وإذا هو من شهوده .

وكان الحسنُ بن محمد بن سنان ابن أخى يزيد بن سنان من وجوه المصريين ، وكان يريد من بكار أن يقبل شهادته ، فلم يفعل ، فصعدت أنا إلى بكار فقال : متى جئت ؟ قلت : حين كنت تعاتب فلانا ، فقال : خذ هذين الدينارين واكتم ما سمعتَ منى ، فقلت : أفعل . ثم نزلت من عنده إلى الحسن

ابن محمد فقلت له : أريد عمامة وطيلسانا وأحدثك حديثا ، فأخرج إليَّ عمامة ، وثوبا زهريا فحدثته ، فركب من ساعته فلم يرجع حتى طاف على وجوه المصريين . فبلغ ذلك بكارا فأرسل إليَّ فقال : أعرَّفتَ أحداً ما سمعتَ ؟ قلت : لا أفشى سرّ القاضى ، قال : فمن أين بلغ الخبر الحسن بن محمد ؟ قلت : قد قيل إن الجن تَبول فى الماء فلا يشرب أحد من ذلك الماء إلا علم بذلك الخبر فقال بكّار : فقد قيل . انصرف فى حفظ الله . قال : وكان الحسن بن محمد أمينًا عند القضاة .

وكانت ودائع بكار وغيره عنده وعند زوجته فاطمةَ بنت يزيد بن سنان ، وعاش الحسن بن محمد إلى سنة تسعٍ وتسعين ومائتين .

وقال ابن زولاق حدثنى عبيد الله بن عبد الكريم قال : كان بكار يشتهى أن يسمع كلام المُزنى ، فاجتمعا يوما فى جنازة ، فأشار بكار إلى أبى جعفر التل ، أن يسأل المزنى عن مسألة ، فقال التل : ما رأيت أعجب من أصحابنا الشافعيين ، لهم أحاديث فى تحريم قليل النبيذ ، ولنا أحاديث فى تحليله ، فمن جعلهم أولى بأحاديثهم منا بأحاديثنا ؟ فقال المزنى . ليس يخلو أن تكون أحاديثُكم قبل أحاديثنا أو بعدها ، فإن كانت قبلها ، فهكذا نقول إنها كانت محلَّلة ثم حرِّمت ، فما نحتاج إلى أحاديثكم . وإن كانت أحاديثكم بعد أحاديثنا فهذا لا يقوله أحد ؛ إنها كانت حلالا ثم صارت محرَّمة ثم حلِّلت . فقال بكار سبحان الله ! إن يكن كلام أدق من الشعر فهو هذا ، واتفق فراغهم ، فصاح المنادى انصرفوا .

قال عبيد الله بن عبد الكريم : وكان بكار يخالف أصحابه فى تحليل قليل النبيذ ، ويذهب إلى تحريمه . وعاتب أبا جعفرٍ التل صاحبُه على الشرب ، قال : وكان بكار فى غاية المعرفة بالقضاء ، فاحتاج مرة إلى قبول شهادة رجل فسأل عنه فقيل له : مايعرف حالَه إلا ابنا الخلال الشافعيان ، وكانا من جلساء المزنى فأرسل إليهما ، فسألهما فقالا : عامَلْناه وأوفانا . فقال لهما بكار : عاملكما وأوفاكما وأعفاكما ؟ فقالا : لا ، ترددنا إليه . فقال : وكان قادرا على الوفاء ؟ قالا نعم . قال : فوقف عن قبول شهادته . قال : وكان فى مجلس ابن طولون ، فتخاصم رجلان فقال له احكم بينهما ، فنظر فى القضية وتوجهت اليمين على أحدهما ، فاستحلفه . فلما فرغ ، قال له الخصم : استحلفه أيها القاضى برأس الأمير ، فقال

بكار : ياهذا قد حلف بالله ، أعظم من الأمير . فقال : بل استحلِفه برأس الأمير ، فقال له بكار ، تحلف برأسه ؟ قال : لا ، فقال له بكار : ياعدو الله ، تحلف بالله خالق السموات والأرض ، وتمتنع أن تحلف برأس مخلوق مثلك ! قال : فحظى ذلك الرجل بعد ذلك عند أحمد بن طولون .

قال ابن زولاق : كان لبكار اتساعٌ فى العلم والمناظرة ، ولما رأى مختصر المزنى وما فيه من الرد على أبى حنيفة شرع هو فى الرد على الشافعى ، فقال لشاهدَين من شهوده ، اذهبا إلى المزنى فقولا له : سمعتَ الشافعى يقول ما فى هذا الكتاب ؟ . فمضيا : وسمعا المختصر كلَّه من المزنى ، وسألاه : أسمعتَ الشافعى يقول هذا ؟ قال نعم . فعادا إلى بكار فأخبراه بذلك ، فقال : الآن استقام لنا أن نقول : قال الشافعى . ثم صنّف الرد المذكور .

ولما غضب أحمدُ بن طولون على بكّار سجنه ، وكان السبب فى ذلك أنه لما خرج إلى قتال الموفق ، بسبب العهد حين ضيق الموفق ، وهو ولى العهد ، على أخيه المعتمد بذلك ، وهو الخليفة حينئذ ، حتى إنه لم يبق للمعتمد إلا الاسم ، ضاق المعتمد بذلك ، فكاتب أمراء الأطراف فوافقه أحمد بن طولون ، وواعده أنه يحضر إليه ويحمله معه إلى مصر ، ويجعلها دار الخلافة ، ويذب عنه من يخالفه فى ذلك . فتهيأ المعتمد لذلك ، واهتم أحمد بأمره . فبلغ الموفق فنصب لأحمد الحرب ، وصرح بعزله ولعْنه ، فصرح أحمد بخلع الموفق من ولاية العهد ، وأمر بلعنه وخرج أحمد بالعسكر من مصر ، واستصحب بكارًا . فلما كان بدمشق جاء كتاب المعتمد إلى ابن طولون بخلع الموفق من ولاية العهد ففعل ، وأجاب القضاة كلهم إلى خلعه ، وسماه بكار « الناكث » وأشهد على نفسه هو وسائر قضاة الشام والثغور ، وطلب منهم أحمد أن يلعنوا الموفق ، فامتنع بكار ، فألح عليه ، فأصر على الامتناع حتى أغضبه ، وكان قبل ذلك له مُكْرِما معظِّما ، عارِفا بحقه . وكان يجيزه فى كل سنة بألف دينار . فلما غضب عليه أرسل إليه : أين جوائزى ؟ فقال : على حالها ، فأحضرها من منزله بخواتيمها ستة عشر كيسا ، فقبضها أحمد . وكان قبل ذلك أرسله إلى ابنه العباس ، لما خالف عليه ببرقة ، فأجابه العباس إلى الرجوع إلى أبيه ، ثم خلا ببكار فقال له : المستشار مؤتمن ، أتخاف علىَّ من أبى ؟ قال : قد أمنك وحلف لك ، ولا أدرى يفى أم لا ، فامتنع العباس من الرجوع معهم .

وكان أحمد قد داوم النظر فى المظالم ، حتى استغنى الناس عن الشرطيين وعن القاضى حتى كان بكار ربما نعس فى مجلسه واتكأ ، ثم انصرف إلى منزله ولم يتقدم إليه اثنان . ولما ألحّ ابن طولون على بكار فى لعن الموفق ، وامتنع من إجابته خوطب فى ذلك إلى أن قال بكار لأحمد بن طولون : ألاَ لعنة الله على الظالمين . فقال على بن الحسين ابن طباطبا ، وكان نقيب الطالبيين بمصر : أيها الأمير إنه عَنَاكَ . فغضب أحمد وأمر بتمزيق ثيابه ، وجروه برجله ، وليس عليه إلا سراويلُ وخُفان وقلنسوة ، مَسلوب الثياب .

وكان برِجْل بكّارٍ عِلّة لا يستطيع التَرَبُّع ، بل يمد رجله من تحت ثيابه فضربه رجل بعود حديد على رِجله الممدودة فقال : أوَّه ، وضمّها . ثم حمل من بين يديه إلى السجن ، وأقامه للناس يطالبونه بمظالم يدعونها عليه . فكان يحضر فى مجلس المظالم بين يدى أحمد قائما .

وكان الطحاوى يقول : ما تعرض له أحد فأفلح بعد ذلك . لقد تعرض له غلام يقال له عامر بن محمد بن نجيح ، وكان فى حجره ، فرآه فى مجلس المظالم ، فقال بكار ياعامر ماتصنع ها هنا ؟ فقال أتلفتَ علىَّ مالى ، فقال : إن كنت كاذبا فلا نفعك الله بعقلك .

قال : فأخبرنى من رآه ذاهل العقل ، يسيل لُعابه ، يَسُبُّ الناس ويرميهم بالحجارة ، والناس يقولون : هذه دعوة بكار . قال : وتقدم إليه نصرانى فقال : أيها الأمير إن هذا الذى يزعم أنه كان قاضيا ، جعل رَبع أبى حُبسا ، فقال بكار : نعم . ثبت عندى أن أباه حبَّس هذا الربع وهو يملكه ، فأمضيت الحبس فجاءنى هذا متظلما فضربته فخرج إلى بغداد ، فجاءنى بكتاب هذا الذى يزعم أنه الموفق « لا تمض أحباس النصارى » فعرفت أنه جاهل ، فلم ألتفت إليه . وقد شهد عندى إسحاق بن معمر بأن هذا كان أسلم ببغداد على يد الموفق ، فإن شهد عندى آخرُ مثل إسحاق ضربت عُنقه . فصاح أحمد بالنصرانى ، المُطْبَق المُطْبَق ، فأخرج فحبس .

* * *

ومن قضايا بكار : أن رجلاً خاصم آخر شافعيًا فى شفعة جوار ، فطالبه عند بكار فأنكر ، فطاوله بكار حتى عرف أنه من أهل العلم . فقال بكار للمدعى ألك

بينة ؟ قال : لا . قال لخصمه : أتحلف ؟ قال : نعم . فحلَّفه ، فحلفَ فزاد فى آخر اليمين أنه ما يستحق تمليك هذه الشفعة ، على قول من يعتقد شفعة الجوار ، فامتنع . فقال له بكار : قُم فأعطه شفعته . قال فأخبر الرجل المزنى بقضِيَّته ، فقال له : صادفتَ قاضيا فقيها .

وقال الطحاوى : لما قَبض أحمد بن طولون يدَ بكارٍ عن الحكم وسجنه ، أمره أن يسلم القضاء لمحمد بن شَاذانَ الجوهرى كالخليفة له ففعل . ثم كان بكار إذا حضر مجلسَ المظالِم للمناظَرةِ يُعَادُ إلى السجن إذا انقضى المجلس . وكان يغتسل فى كل يوم جمعة ، ويلبس ثيابه ، ويجىء إلى باب السجن ، فيرده السّجّان ويقول : اعذرنى أيها القاضى ، فما أقدر على إخراجك ، فيقول : اللهم اشهد ، فبلغ ذلك أحمد ، فأرسل إليه : كيف رأيت المغلوب المقهور لا أمر له ولا نهى ، ولا تصرُّفَ فى نفسه . لا تزال هكذا حتى يرد علىّ كتاب المعتمد بإطلاقك .

ولما طال حبس بكار طلب أصحاب الحديث إلى أحمد [بن طولون] أن يأذن لهم فى السماع منه ، فأذن لهم ، فكان يحدثهم من طاق فى السجن ، فأكثر من سمع منه فى آخر عمره ، كان كذلك .

وقال ابن زولاق : ثم أمر ابن طولون بنقل بكار من السجن إلى دار اكتريت عند درب المصقلى فأقام فيها مدة . فلما مات أحمد بن طولون بلغ بكارا فقال : ما للناس ؟ قيل انصرف أيها القاضى الى منزلك فقد مات أحمد فقال : الدار بأجرة وقد صلحت لى . وعاش بعد ابن طولون أربعين يوما ومات فى تلك الدار . فحضرت جنازته فما رأيت كبير أحد ، فقلت ليحيى بن عثمان بن صالح . يموت مثل هذا الرجل وتكون هكذا جنازته ! فما صليت العصر حتى مافقدت أحدا ، ولم أر فيها أحدا راكبا . وصلى عليه ابن أخيه محمد بن الحسن بن قتيبة ، ودفن بطريق القرافة ، والدعاء عند قبره مستجاب . ومات يوم الخميس لخمسٍ بقين من ذى الحجة سنة سبعين ومائتين وقد قارب التسعين . وكانت مدة ولايته أربعا وعشرين سنة [وستة أشهر وستة وعشرين يوما] (١) .

* بكران هو لقب ، واسمه عتيق بن الحسن ، يأتى فى حرف العين (٢) .

---

(١) مابين الحاصرتين عن الولاة والقضاة ٤٧٩ .

(٢) ستأتى ترجمته تحت رقم ١٣٢ .